﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف: 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الاعْترافُ بالكُفرِ الموجِبِ للنَّارِ هو مبدأُ دُخولِ النَّارِ لا النَّجاةُ منها

لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى المُفتَرِينَ عليه الكَذِبَ أو المُكذِّبينَ بآياتِه، ثمَّ ذكَرَ ما سيكُون من سُؤالِ الملائكةِ لهم عندما يَتَوفونَهُم: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[الأعراف: 37] ذكَرَ على لسَانِهم أنَّهم قالُوا: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: 37]، فكأنَّه قِيلَ: لقدِ اعتَرَفُوا، والاعترَافُ إنصَافٌ، فهل ذَلِكَ نافِعُهُم؟ فبيَّنَ سُبحانَهُ أنَّ ذلك غيرُ نافعٍ لهُم، لفواتِ محلِّه بفواتِ دَارِ العَمَلِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾[1]، فالمناسبةُ بين الآيتين قائمةٌ على بيانِ حالِ أهلِ النَّارِ عند الإقرارِ بأفعالِهم التي يَستحقُّون بها دخولَ النَّارِ قبل دُخولِها، وعندَ الأمرِ بدخولِها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُمَمٖ﴾: جمعُ أُمَّةٍ، ومادَّتُهَا الهمزةُ والميمُ، وهي دالَّةٌ على تَضَامِّ شيءٍ أو أشياءَ مُتَجانِسَةٍ، بمعنَى: لَحَاقِ بعضِها ببَعضٍ في حيِّزٍ يُحيط بظاهِرِهَا بِلُطفٍ[2]، ومنه الأُمُّ؛ فإنَّ العرَبَ تُسمِّي كلَّ شيءٍ يُضَمُّ إليه سائرُ ما يليهِ أُمًّا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/379.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أمم).
(3) الخليل بن أحمد، العين: (أم).

وذكر ابنُ قُتيبة أنَّ الأصلَ في الأُمَّةِ: الجماعَةُ والصِّنفُ مِنَ النَّاس[1]، وتَرِدُ الأمَّةُ في القرآنِ الكريمِ على خمسَةِ معانٍ؛ هي: الجماعة، والملَّة، والزَّمن، والإمامُ، والصِّنفُ[2].

والأُمَمُ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ يُرادُ بِهَا: الجماعاتُ والأحزابُ وأهلُ الملِ الكَافِرَة[3].

2) ﴿خَلَتۡ﴾: الخاءُ واللَّامُ والحرف المعتلُّ تدورُ تصريفَاتُهَا حَوْلَ مَعنَى تعَرِّي الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ[4]، والخَلاءُ مِنَ الأرضِ: قَرَارٌ لا شَيءَ فيه[5]. وخَلا لَكَ الشَّيءُ، بِمَعنَى: فَرَغَ[6]. والخُلُوُّ مُستعمَلٌ في الزَّمانِ والمَكَانِ، إلَّا أنَّهُ لَمَّا تُصُوِّر في الزَّمَانِ المُضِيُّ؛ فُسِّرَ الخُلُوُّ بالمُضِيِّ، فيُقَالُ: خلَا الزَّمانُ؛ أي: مَضَى وذهبَ[7]، ومِنهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾، فإنَّ معناهُ: قد مضَتْ[8].

3) ﴿ٱلۡجِنِّ﴾: الجِيمُ والنُّون أصلٌ يدُلُّ على السَّترِ، ومِنهُ: الجنَّةُ في الدُّنيا وهي البُستَان؛ لأنَّ الشَّجرَ بِوَرَقِهِ يستُرُ، والجَنَّةُ في الآخرة: ثَوَابٌ مَستُورٌ عَنَّا اليَومَ[9]. والجِنُّ: خلقٌ مِن خَلقِ اللهِ تعالى مُكلَّفُونَ، خلقَهُمُ اللهُ تعالى مِن نارٍ، وسُمُّوا بذلك لاستتَارِهم عنِ الأعيُنِ[10]، وهو المرادُ في قَولِهِ تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾.

4) ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾: الهمزةُ والنّون والسِّين تدور تصاريفُهَا على معنَى ظهورِ الشَّيءِ، ومِنه قولُهم: آنسَ الشَّيءَ؛ أي: رآهُ، ومِنه قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [النّمل: 7]، وسُمِّيَ الإنسُ إنسًا لظهورِهِم[11]، والإنسُ: بنُو آدَمَ[12]، وهو المَعنَى المرادُ في قَولِهِ تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾.

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 248.
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 143 - 144.
(3) الخازن، لباب التَّأويل: 2/198.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلو).
(5) الخليل بن أحمد، العين: (خلو).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (خلو).
(7) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (خلا).
(8) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 5/1475.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جن).
(10) ابن الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النَّاس: 2/322.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أنس).
(12) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (أنس).

5) ﴿لَّعَنَتْ﴾: اللَّام والعَين والنّونُ تدور اشتقاقَاتُهَا على الإبعادِ والطَّرد، ومِنه: لعنَ اللّهُ تعالى الشَّيطانَ؛ بمعنَى: أبعَدَهُ عنِ الخَيرِ والجنَّةِ[1]. واللَّعنُ في الشَّرع: الطَّرد والإبعَادُ عَن رَحمَةِ اللّه تعالى[2].

واللَّعنُ في قولِهِ تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ بمعنى الشَّتم؛ أي: شتمَتِ الجماعةَ الأخرى مِن أهلِ مِلَّتها، تَبَرِّيًا مِنهَا[3].

6) ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: الدَّالُ والرَّاءُ والكافُ تدورُ تصريفَاتُها على معنَى لُحُوقِ شيءٍ بشيءٍ ووصولِهِ إليه، ومِنه قولُهم: أدركتُ الشَّيءَ؛ أي: لحقتُهُ[4]. والإدراك والدَّرَكُ: لحَاقُ المُطارِد بالمُطارَد، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النّساء: 78][5].

وأصلُ ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: تَدَارَكُوا؛ أُدغِمَتِ التَّاء في الدَّال، وجيءَ بهمزة الوصلِ لئلَّا يُبتدأ بالسَّاكن، ومعنى قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾: تلاحَقُوا وأدرَكَ آخرُهم أوَّلَهم، واجتَمَعُوا في النَّار جميعًا[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اجتِماعُ الكافرين مُتخاصِمين ومُتلاعِنين في النَّارِ عذابٌ فوقَ العذابِ

قالَ اللّهُ تعالى لهؤلاءِ المُشركين المُفترِينَ حِينَ وَرَدُوا عليهِ يومَ القيامَة: ادخُلُوا النَّارَ في جماعاتٍ مِن ضُرَبائكُم في الكفرِ، قد سَلَفَتْ مِن قَبلِكُم مِنَ الجنِّ والإنسِ في النَّار، كُلَّما دخلتِ النَّارَ جماعةٌ مِن أهلِ ملَّةٍ لعَنَتْ نظيرتَهَا الّتي ضلَّت بالاقتِدَاء بهَا، حتَّى إذا تلاحَقَ في النَّارِ الأوَّلون مِن أهلِ المِلَلِ الكافرَةِ والآخرون مِنهُم؛ قال الآخِرُون المتَّبعون في الدّنيا لقَادَتِهم: ربَّنا هؤلاء أضلُّونَا عَن سَبيلِك، ودَعَونَا إلى عبادة غَيرِك، وزيَّنوا لنَا طاعةَ الشَّيطان، فآتِهم اليومَ مِن عذابك الضِّعفَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعن).
(2) بكر أبو زيد، معجم المناهي اللّفظيّة، ص: 456.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/416.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (درك).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (درك).
(6) محمّد الأمين الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 3/225.

على عذابِنَا، قال اللّه تعالى: لكلٍّ مِنكُم ومِنهُم عذابٌ مُضاعفٌ مِنَ النَّار، ولَكِن لا تُدرِكُون قدْرَ ما أعدّ اللّهُ لَكُم مِنَ العذَابِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ عَمَّا قَبلَهُ:

فُصِلَ قولُ اللّه تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِه استئنافًا بيانيًّا، فبَيْنَ هذهِ الجملةِ وما قبلَهَا شبهُ كمال الاتِّصالِ، وذلك أنَّ قولَهُ سُبحانَهُ: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: 37] دالٌّ على اعترافِهِم، والاعترافُ إنصافٌ، فرُبَّما تُوُهِّمَ أنَّ اعترافَهُم نافعٌ لهم ومُخرِجُهم مِن تَبِعَةِ العقابِ، فأثار ذَلِكَ سُؤَالًا: هَل اعترَافِهُم نافعُهم؟ فجاءَ الجوابُ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ بيانًا لعدَمِ انتفاعِهِم باعترافِهِم ذلكَ[2].

الاعـتِرَافُ بالحقِّ بَعدَ فواتِ الأَوانِ حَسرَةٌ وخُسرانٌ

بَلاغةُ الاسْتعارَةِ التَّصريحيَّةِ:

وردَ فعلُ القولِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ ماضيًا، والفعلُ الماضي دالٌّ على حدَثٍ مَضَى زمانُهُ، وسياقُ الآيةِ حديثٌ عمَّا يكُون يومَ القِيامَةِ، وهو أمرٌ مُستقبَلٌ لم يقَعْ بعدُ، فكان مُقتضَى الظَّاهرِ التَّعبيرَ بفعلٍ يدلُّ على المستقبلِ، ونُكتَةُ العدُولِ عَنِ التَّعبيرِ بفعلٍ يدلُّ على مستقبلٍ إلى المَاضي: الإيماءُ إلى تَحَقُّقِ وقوعِ هذا الخطابِ، وصِدقِ القِصَّةِ، حتَّى كأنَّها أمرٌ قَد وقعَ وفُرِغَ منه[3].

إثـبـاتُ البَعـثِ واقـعًا أوقـعُ في التَّحقُّقِ وأثبتُ في البُرهانِ

ففِي الآيةِ استعارَةٌ بليغَةٌ، حيثُ شبَّه القَولَ في المُستقبلِ بالقَولِ في الماضي، في تحقُّقِ وقوعِ القَولِ، على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّة، ونُكتةُ الاستعارَةِ: إثباتُ البعثِ؛ بما سيكونُ فيه من وعيدٍ للمُفترين، فلمَّا أنكرُوه افتراءً، أثبَتَه اللّه بما سيقعُ فيه حقًّا وصِدقًا.

(1) ابن جرير، جامع البيان، 12/415 - 419، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 155.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/398.

نُكتةُ حذْفِ المُسنَدِ إليه لِلفِعل ﴿قَالَ﴾:

لَا يُكَلِّمُ اللهُ تَعالى الكُفَّارَ كَلامَ تَكرِيمٍ

لَم يُنصَّ النَّظمُ على تعيينِ القائلِ (المسنَدِ إليه) لِلفعلِ ﴿قَالَ﴾ بالاسمِ المُظهَرِ، والقائلُ هو اللهُ تعالى، وفي توجيهِ ذلك من حيثُ الحقيقةُ والمجازُ مسلكَانِ:

أحَدُهُما: أنَّ الكلامَ موجَّهٌ إلى الكُفَّار مباشرةً.

والآخَرُ: أنَّ اللهَ تعالَى يقُولُ لَهُم ذَلِكَ بِواسطةِ الملائكةِ؛ وذلك لوجُود ما يدلُّ على عدمِ تكليمِ اللهِ تعالى لِلكُفَّار يومَ القِيامَةِ[1]، كما في قَولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 77]، ويُجابُ عن هذا بأنَّ المرادَ بتكليمِهِم المَنفيِّ هو تكليمُ التَّكرِيمِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أخبر في آيةٍ أخرَى أنَّه يقولُ لَهُم في النَّار: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ [المؤمنون: 108][2].

والأظهَرُ الأوَّلُ؛ لأنَّه جارٍ على الأصلِ في حملِ الكلامِ على الحقيقةِ، بخلاف القولِ الآخَرِ؛ فإنَّه مجازٌ عقليٌّ بعلاقةِ السَّببيَّةِ، وإنَّما لم يُصرَّح بالفاعِلِ لِنُكتَتَين:

إحداهما: أنَّ اللهَ سُبحانَهُ مذكورٌ دائمًا في الأفهامِ وفي القلوبِ، فلَم يُفتَقَر إلى ذِكرِهِ ههنا[3].

والأخرى: أنَّ المقامَ معيِّنٌ لَهُ؛ إذْ إنَّ مثلَ هذا القولِ لا يَصدُرُ مِن أحدٍ غَيرِ اللهِ سُبحانَه[4].

غَرَضُ الأَمْرِ في قولِه تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾:

الأمرُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل: 2/36، والواحديّ، التّفسير البسيط: 9/119، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 117 - 118/2، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 288.

(2) ابن أبي العزّ، شرح الطّحاويّة، ص: 131.

(3) محمد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2833.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/118.

مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ فوقَ أنَّه جارٍ على حقيقتِهِ في الدِّلالةِ على الإيجابِ والإلزامِ الجبريِّ؛ فهُم غيرُ مخيَّرينَ في ذلك اليوم؛ فدُخولُهم النَّارَ أمرٌ حتميٌّ، فيُراد من هذا الإلزامِ الإهانَةُ والتَّحقيرُ، ذلك أنَّ أمرَ هؤلاءِ بالدُّخولِ إلى النَّارِ بأنفسِهم عذابٌ فوقَ العذابِ، بقرينَةِ قولِهِ بعدُ: ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾؛ فإنَّ الكفَّار حالَ خِطابِهِم بالأمرِ في حالٍ مَهينَةٍ، وقد طُلِبَ مِنهُم دخولُ النَّارِ مع الدَّاخِلينَ، وهذا قاطِعٌ بأنَّ أمرَهُم واقعٌ على وجهِ الإهانَةِ لَهُم، زيادةً على ما هُم عليهِ مِنها.

مِـــن أعـــظَـــمِ الـــعَـــذَابِ أنْ يُؤمرَ أهلُ النَّارِ بدُخولِها

براعةُ استعمالِ حَرفِ الجَرِّ ﴿فِي﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ مِن قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ يَحتَمِلُ وَجهَين[1]:

الـــدُّخـــولُ في الأمـــمِ الـتـي في الـنَّـارِ دخـولٌ في النَّارِ

أحدهمَا: أن تكونَ ﴿فِي﴾ بمعنَى (مَعَ)، والتَّقدير: ادخُلُوا النَّارَ مَعَ أُمَمٍ.

والآخَرُ: أن تكونَ ﴿فِي﴾ على بابِهَا في الدّلالَةِ على الظَّرفيَّةِ، وهي ظرفيَّةٌ مجازيَّةٌ؛ إذِ المَعنَى: كونُهم في حالٍ واحدةٍ وحُكمٍ وَاحِدٍ، سواءٌ أكان دخولُهم النَّارَ في وسطِهم أم كان قبلَهُم أو بعدَهم.

والأوفقُ بالبلاغةِ أن يكونَ معنى الظَّرفيَّة على بابِه، بمعنى: أنَّ الدُّخولَ في تلك الأمم هو في الحقيقةِ دُخولٌ في النَّارِ، ذلك أنَّ تلكَ الأُمم ماكثةٌ في النَّارِ، والمُخاطَبون مأمورونَ أن يدخُلُوا في تلك الأمم الّتي هي في النَّارِ، فدُخولُهم في الأمم دخولٌ في النَّارِ.

نُكتَةُ تَنكِيرِ ﴿أُمَمٖ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿أُمَمٖ﴾ مِن قَولِ اللهِ سُبحانَه: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ للدِّلالَةِ على التَّكثيرِ، فالأُمَمُ الدَّاخِلَةُ النَّارَ كثيرٌ عَدَدُهَا، وفي هذا مِنَ الوَعيدِ والتَّهديدِ ما يقرَعُ سَمعَ كُلِّ مُتَلَقٍّ لهذا الخِطَابِ.

كَـثرَةُ الدَّاخِلِينَ النَّارَ مِنَ الأُمَمِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/398، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/237، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/119.

سِرُّ جَمْعِ ﴿أُمَمٍ﴾:

كُـلُّ مُـخَـالِـفٍ لِـدِيـنِ الإِسـلامِ مَآلُهُ النَّارُ

جُمِعَ لفظُ ﴿أُمَمٍ﴾ في قَولِه ﷻ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾؛ لإفادة التَّكثيرِ والتَّنويعِ، فأمَّا دِلالَتُهَا على التَّكثيرِ فظاهِرٌ، وهي دِلالَةٌ تُضافُ إلى دلَالَةِ تنكيرِ الكلِمَةِ أيضًا، وأمَّا التَّنويعُ فإنَّ الأُمَمَ الدَّاخِلَةَ النَّارَ مُتَعَدِّدَةٌ أَنوَاعُهَا؛ إذْ فيهِم جِنٌّ وإنسٌ، وفِيهِم يَهُودٌ ونصَارَى ومُشرِكُونَ ومنافِقُونَ.

نُكتةُ التَّعرِيضِ في الآيةِ:

تَعجيزُ الدَّاخلينَ في الـنَّـارِ مـنَ النَّجاةِ

في قولِه تعَالَى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ تعريضٌ بالوعيدِ؛ بأَنْ يَحِلَّ بِهِم مثلُ ما حلَّ بِمَن قبلَهُم، وبيانٌ بأنَّهم سواءٌ في عذابِ النَّارِ[1]، ونُكتُته التَّعجيزُ منَ الخروجِ، إذ عِلمُهم بحالِ تلك الأممِ الّتي لم تخرُجْ منَ النَّار، يقودُهم إلى اليأسِ منَ الخُروجِ، فلن يكونوا خيرًا من غيرِهم.

بَرَاعَةُ تأخيرِ قَولِهِ تعالى: ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾:

مَعرفةُ العذابِ الـجِـسّيِّ بعد إبـهـامِـه عـذابٌ نفسِيٌّ

في قولِه سُبحانَهُ: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ تقديمٌ وتأخيرٌ فيما يقتضيه الظَّاهر، والتَّقدير: ادخُلُوا في النَّارِ مع أممٍ[2]، لكنَّ القرآنَ جاءَ على ما يقتضيه المقامُ، وما يُحتِّمه علمُ اللّه تعالى، ففي تأخيرِ محلِّ الجزاءِ ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾ زيادَةٌ في إدخالِ الرَّهبَةِ والفَزَعِ في قُلُوبِ المخاطَبينَ؛ إذ كان أوَّلُ الكلام غيرَ دالٍّ على تَعيينِ الجزاءِ، فتقَعُ النُّفوسُ في حيرةٍ ودهشةٍ وترقُّبٍ، فيجيءُ البيانُ قاطعًا لمصيرِهم، مُزيلًا كلَّ أَمَلٍ للنَّجاةِ ربَّما خطرَ بأوهامِهم، وهو ما يتَّفقُ مع نُكتةِ حملِ حرفِ الظَّرفيَّةِ على بابِه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/119.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 9/120.

دَلَالَةُ استِعمالِ أداةِ ﴿قَدْ﴾ في الآيةِ:

التَّحذِيرُ مِنَ الضَّلَالِ المُوجِبِ لِلهَلَاكِ الدُّنيَوِيِّ وَالأُخرَوِيِّ

﴿قَدْ﴾ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ مؤكِّدَةٌ لِلجُملةِ الفعليَّةِ ومقوِّيَةٌ لَهَا، فَفيهِ تحقيقُ دُخولِ جماعَاتٍ مِنَ الجِنِّ والإنسِ النَّارَ، ودخولُهُم إيَّاها بِسَبَبِ الضَّلالِ يُوجِبُ الحَذَرَ مِن سُلُوكِ سَبيلِهِم في الدُّنيا، فيَكُون مُصاحِبًا لَهُم في الآخِرَة.

نُكتَةُ تأنِيثِ فعْلِ: ﴿خَلَتْ﴾:

اقتِحَامُ ما فِيهِ الخَسارَةُ دَلِيلُ رِقَّةِ العَقلِ وَضَعفِهِ

لَحِقَتِ المسنَدَ ﴿خَلَتْ﴾ تاءُ التَّأنيثِ إعلامًا بضَعفِ عقولِهِم وسَفَهِ أحلامِهِم[1]؛ حيثُ اقتحَموا ما كان فيه خَسارَتُهُم الأبديَّةُ.

دَلَالَةُ حرفِ ﴿مِن﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِن قَبْلِكُم﴾:

دِقَّةُ البَيَانِ القُرآنِيِّ فِي انتِقاءِ حُرُوفِ المَعَانِي

دخُولُ حرفِ الجرِّ ﴿مِن﴾ على ﴿قَبْلِكُم﴾ من قَولِه تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ أفادَ نُكتَتَين:

إحداهُمَا: توكيدُ المَعنَى وتَقويَتُهُ؛ وهو الدّلالَةُ الغالبَةُ على (مِنْ) المُقترِنَةِ بـ (قَبْلُ) و(بَعْدُ).

والأُخرَى: أنَّه لمَّا وُجِدَ مَن آمَنَ في الزَّمَنِ الماضِي، أدخلَ (مِنْ)؛ احتراسًا مِن دخولِ هؤلاءِ في نظمِ الآيةِ[2].

دَلَالَةُ ﴿مِّنَ﴾ فِي قَولِهِ تَعالى: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾:

شُمُولُ العَذَابِ الضَّالِّينَ كُلَّهُم؛ إنسَهُم وَجِنَّهُم

﴿مِن﴾ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ بيانيَّةٌ، وذلك لبيانِ شمولِ العذابِ الضَّالِّينَ كُلَّهم، سواءٌ أكانُوا جنًّا أم إنسًا[3]؛ إذ علَّةُ العذابِ هُوَ الضَّلالُ، وهذه العلَّةُ كائنَةٌ في الجنِّ كما هِيَ في الإنسِ، كما قالَ اللهُ تعالى عَنِ الجنِّ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجنّ: 14].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.
(3) محمّد أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2834.

دَلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلۡجِنِّ﴾ وَ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾:

بَـيـانُ جِـنـسِ الأُمَمِ الدَّاخِلَةِ فِي النَّارِ

اللَّامُ في ﴿ٱلۡجِنِّ﴾ وَ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾ من قَولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ لِبَيَانِ الحقيقَةِ، وهي المسمَّاةُ: لامُ الجنسِ؛ إذِ المُشَارُ إليه هُنا هُو الحقيقَةُ بِقَطعِ النَّظَرِ عَن عُمومِهَا أَو خُصُوصِها، والمَعنَى: أنَّ هذهِ الأُمَمَ الدَّاخِلَةَ النَّارَ قَد تكُونُ مِن جنس الجنِّ، وقد تَكونُ مِن جنس الإنسِ.

سِرُّ تَقدِيمِ الجِنِّ عَلى الإنسِ:

الـجِـنُّ أَصـلٌ فِي الإِغـوَاءِ والإِضلَالِ

قُدِّم الجِنُّ على الإنسِ في قولِه تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾؛ لكونِهم أَعرَقَ في الكفرِ؛ فَالجنُّ الأصلُ في الإغواءِ والإضلَالِ[1]، وهم السَّابقون في التَّكليف والخلقِ.

دَلَالَةُ ﴿فِي﴾ فِي قَولِه تعالى: ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾:

تَصويرُ اجتِماعِ الكَفَرَةِ جِنًّا وإِنسًا فِي قَعرِ جَهَنَّمَ

﴿فِي﴾ من قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾ للظَّرفيَّةِ، وفي ذلكَ إِيمَاءٌ إلى أنَّ اجتماعَ أهلِ النَّارِ حاصِلٌ في قَعرِ جَهَنَّمَ، وأنَّ بعضَهم يركَبُ بعضًا، كما أومأَ إلى ذلكَ الإدغَامُ في فعلِ ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾، وهذا الاجتِمَاعُ واقعٌ لجميعِهم، دونَ أن يتخلَّفَ أحدٌ، كما دلَّ على ذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿جَمِيعَا﴾.

فأَفَادَ حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ تصويرَ اجتماعِ الكَفَرةِ جنًّا وإنسًا في قَعرِ جَهَنَّمَ.

عِلَّةُ حَذفِ مَعمُولِ ﴿دَخَلَتۡ﴾:

الاقـتِـصَـادُ اللَّـفـظِـيُّ عِـنـدَ الـدَّلِـيـلِ مِـن مَحاسِنِ البيانِ

حُذِفَ معمولُ الفعلِ ﴿دَخَلَتۡ﴾ من قَولِه تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٌ﴾، والتَّقدير: كلَّما دَخَلَتْ أمَّةٌ النَّارَ؛ لعنَتْ أُختَهَا، وحُذِفَ المعمولُ اكتفاءً بدلالَةِ تقدُّمِ ذكرِ النَّارِ مع فِعلِ الدُّخولِ في قوله سُبحانَهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/398، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/48، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.

فائِدةُ تَنكِيرِ ﴿أُمَّةٌ﴾:

النَّكِرَةُ الوَاقِعَةُ في حَيِّزِ عُمومِ الأَزمانِ تَعُمُّ

نُكِّرت ﴿أُمَّةٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ لإفادَةِ العُموم، وذلك لأنَّها نكرةٌ وقعَتْ في حيِّزِ عُموم الزَّمانِ ﴿كُلَّمَا﴾، فأفادَتِ العُمومَ، وهو عمومُ الدَّاخِلينَ النَّارَ، والمعنَى: كُلُّ أمَّةٍ دخلَتْ.

وقولُهُ بعدُ: ﴿أُخْتَهَا﴾ نَكِرَةٌ أضيفَ إلى ضميرٍ راجعٍ إلى نكِرَةٍ، فلا يُفيدُهُ ذلك تعريفًا، فتكون ﴿أُخْتَهَا﴾ نكرةً واقعةً في حيِّزِ عموم الأزمِنَةِ أيضًا؛ فتُفيدَ العُمُومَ كذلكَ[1].

نُكتةُ الاستِعَارَةِ التَّصريحيَّةِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿أُخْتَهَا﴾:

قوّةُ علاقةِ أهلِ الضَّلالةِ في الدُّنيا ينقلبُ لعنةً في الآخرةِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ استعارةٌ؛ حيثُ شُبِّهَت الأُمَّةُ الموافقَةُ لغيرِهَا في الضَّلالِ بالأختِ، بجامعِ مُطلَقِ الاشتراكِ، وحُذفَ المشبَّه وصُرِّح بالمشبّه به على طريقةِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ الأصليَّةِ، ونكتةُ الاستعارَةِ بيانُ شدَّةِ حسرةِ الأُمَمِ الضَّالَّةِ وعظيمِ العداوَةِ الحاصِلَةِ بينَهُم يومَ القيامَةِ؛ حيث إنَّ كلَّ أهلِ دينٍ وملَّةٍ يلعَنُ نظيرَهُ ممَّن اتَّبعَ آثارَه وماثلَهُ في دينِهِ؛ فاليهودُ تلعنُ اليهودَ، والنَّصارَى تلعنُ النَّصارى، والمجوسُ المجوسَ، وهكذا[2].

دَلَالَةُ السَّابقِ واللَّاحقِ لأداةِ ﴿حَتَّىٰٓ﴾:

دلَّتْ (حتى) على أنَّ ما قبلَها سَببٌ فيمَا بعدَها

الجُملةُ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾ مُستَأنَفَةٌ، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائيَّةٌ، وهي مُفيدَةٌ معنَى التَّسبُّبِ؛ أي: تسبُّبِ مضمونِ ما قبلَهَا في مَضمونِ ما بعدَهَا، والغايَةُ الّتي تدلُّ عليها هي غايةُ ما يُخبرُ به المُخبِرُ.

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ الابتدائيَّةُ تدلُّ على أنَّ مضمونَ ما بعدَهَا أجدرُ بعنايةِ المتلقِّي في الفهمِ والتَّدبُّرِ؛ لأنّه نتيجةُ ما قبلَها، ولأنَّه أجدَى في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/120.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.

الغرضِ الّذي سِيقَ الكلامُ لأجلِه، والواقعُ بعدَ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ في هذه الآيةِ فيه مِنَ التَّهويلِ شيءٌ عظيمٌ؛ إذ نُصَّ على مآلِهم الأبديِّ وهو النَّارُ، وذلك أَدخَلُ في ترويعِهم وتَهديدِهم[1].

مِن قَبيحِ أَحوَالِ الـكُـفَّـارِ رُكـوبُ بَعضِهِم بَعضًا في نَارِ جَهَنَّمَ

لطِيفةٌ في توجيهِ الإدغَامِ في قولِه: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾:

أصلُ ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: تَدَارَكُوا؛ أُدغِمَتِ التَّاء في الدَّالِ، ثُمَّ جيءَ بهمزة الوصلِ ليُتوصَّلَ بها إلى النُّطقِ بالسَّاكنِ، ومَعنَى ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: تدَارَكُوا وتلاحَقُوا، ومن لطيفِ ما يُشعرُ به الإدغامُ في لَفظِ: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ أنَّهم حالَ إدراكِ بَعضِهم بعضًا في النَّار: يركَبُ بعضُهم بعضًا[2].

صَـداقـةُ الـكُـفرِ تَـنـقـلِـبُ عَـداوةً يومَ القيامةِ

معنَى اللَّامِ في قَولِهِ تعالى: ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾:

اللَّامُ في قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ لامُ أجْلٍ وسَبَبٍ؛ إذِ القولُ ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ خبرُ اللهِ عنهم، فالمعَنى: أنَّ القائلين ﴿رَبَّنَا﴾ قالُوا ما قالُوا بسبب إضلالِ المُشارِ إليهم بقولِه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إيَّاهُم، وليسَ المعنَى أنَّهم ذكَرُوا هذه المقالَةَ لأُولَاهُم؛ لأنَّهم لم يُخاطِبُوهم، وإنَّما خاطَبُوا اللهَ سُبحانَهُ بهذا[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ صداقةَ الكافرين في الدُّنيا، ستكونُ عاقبتُها وخيمةً في الآخرةِ.

اعـتـقـادُ الـعَـبْـدِ يُـصَـاحِـبُـه في الآخـرةِ، وهو في قَعْرِ جهنَّم

نُكتةُ النِّدَاءِ بلفظِ الرُّبُوبِيَّةِ ﴿رَبَّنَا﴾:

وقعَ النِّداءُ في قَولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ باسمِ الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضميرِ المُتكلِّمينَ (نَا)؛ ونكتَةُ ذلك الإشْعارُ بأَنَّ اللهَ تعالى الّذي لم يَقطَعْ إحسانَهُ عنهم في الدُّنيا على ما كان منهُم من مقابلَةِ إحسانِهِ إليهم بالإساءَةِ في العمَلِ[4]؛ يجوزُ أن يُجيبَ دعاءَهُم على المُضلِّينَ - فيما يظنُّون - فإنَّ في ذلك إحسانًا إلى الدَّاعينَ بتشفِّيهم مِمَّن أضلَّهُم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/166 - 121.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/397.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/399، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/238.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/398.

وأمرٌ آخر وهو أنَّ الدَّاعينَ قد أقرُّوا في الدُّنيا بالرُّبوبيّة، وعاندُوا في الألوهيّة، فناسَبَ ذلك أن يكونَ دُعاؤُهم مُتَّسقًا مع أعمالِهم.

نُكتَةُ الإشارَةِ بِـ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾:

التَّعبيرُ باسمِ الإشارَةِ ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ في قَولِ اللهِ تَعالى: ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ فيه إشعارٌ بِحُضورِ هذهِ الطَّائفَةِ، المُضِلِّ أصحابُهَا، المُشَارِ إلَيهِم؛ وذلك أنَّ الأَصلَ في اسمِ الإشارةِ أَن يَكونَ لِحاضِرٍ.

الإشعارُ بِحُضورِ الطَّائِفَةِ المُشارِ إلَيها في ذِهْنِ السَّامِعِ

ونُكتَةُ الإتيانِ باسمِ الإشارَةِ هَهُنا: تمييزُ المشارِ إلَيهِ أكملَ تَمييزٍ؛ ليُرتِّبُوا عليهِ قولَهُم بعدُ: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

نُكتَةُ المَجَازِ المُرسَلِ في: ﴿أَضَلُّونَا﴾:

﴿أَضَلُّونَا﴾ مِن قولِهِ تَعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ بمعنَى: سَنُّوا لنا الضَّلالَ فاقتدينَا بِهِم، أو دَعَوْنا إلَيهِ وأمرونَا به، فأَطَعنَاهُم[1]، فالإضلَالُ مرادٌ به التَّسبُّبُ به، فهو مجازٌ مرسَلٌ، علاقَتُهُ المسبَّبيَّةُ؛ حيثُ أُطلِقَ المُسَبَّبُ والمرادُ السَّبَبُ، وإنَّما عبَّرُوا بالمسبَّبِ مبالغَةً؛ لذِكرِ أعظَمِ الأشياءِ الموجبَةِ مُضَاعفةَ العذابِ عليهم.

الإضلالُ مِن أعظَمِ الأشياءِ المُوجِبَةِ مُضاعَفَةَ العَذابِ

دَلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ ﴿أَضَلُّونَا﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعلِ ﴿أَضَلُّونَا﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، والتَّقدير: أضلُّونا عَنِ الهُدَى[2]، فحُذِفَ المُتعلَّق لِلعِلمِ به، أو لإرادَةِ العُمومِ، وأنَّهم أضلُّوهم عن كُلِّ خَيرٍ دنيويٍّ وأخرَوِيٍّ، فإنَّ مَن خسرَ آخِرَتَهُ لا يُعتَدُّ بأيِّ خَيرٍ كانَ قَد حصَّلَهُ في دُنياهُ.

مَن خَسِرَ آخِرَتَهُ؛ خَسِرَ خيرَ دُنيَاهُ

معنى الفاءِ ودِلَالَةُ الفعلِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾:

قولُ اللهِ تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾ أي: بِسَببِ إضلالِهِم[3]، فالفاءُ سببيَّةٌ،

إضلالُ رؤوسِ الكُفرِ لأتباعِهم مَظِنَّةُ مُضاعَفَةِ العَذابِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/227، والآلوسّي، روح المعاني: 4/356.
(2) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 4/232.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/398.

والفعلُ (آتِهم) مِن قولِه سُبحانَهُ: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ خرَجَ عَن حقيقتِهِ في إرادَةِ الإلزَامِ بالفعلِ إلى معنَى الدُّعاءِ؛ إذِ الطَّلَبُ صادِرٌ مِنَ العبادِ إلى ربِّهِم ﷻ، فانتفَى مِنه الإلزامُ قطعًا، فهو مَجازٌ مُرسَلٌ مركَّبٌ، بعلاقةِ الإطلاقِ والتَّقييد؛ إذِ اشترَكَ الأمرُ في حَقِيقَتِهِ مع الدُّعاءِ في مُطلَقِ الطَّلَبِ، واختلفَا في القَيدِ المُميِّزِ لكلٍّ واحدٍ مِنهما عَنِ الآخَرِ.

نُكتَةُ تَنكِيرِ ﴿عَذَابًا﴾:

نُكِّرَ العذابُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ تعظيمًا له وتفخيمًا لقَدرِهِ، ويجوزُ أن يكونَ التَّنكِيرُ لبيانِ النَّوعيَّةِ؛ أي: آتِهم نوعًا مِنَ العذابِ مغايرًا لِلمَعهُودِ مِنه.

عَـظَـمَـةُ عَـذَابِ النَّارِ وَشِدَّتُهُ نوعٌ غيرُ مَعهودٍ

والوجهانِ متآيِلانِ؛ لأنَّ نوعَ العذابِ غيرَ المعهودِ مِن شأنِهِ أن يَكونَ عظيمًا.

بَراعَةُ الكِنايَةِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾:

قَولُ اللهِ تعالى حكايَةً عنِ الأتباعِ مِنَ الكُفَّارِ: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ يحتَمِلُ وجهينِ[1]:

الـكـافـرُ ذلـيـلُ الـنَّـفـسِ، هـيِّنٌ على اللهِ تَعالى

أحدهما: أن يكُونَ المرادُ طلبَ تخفيفِ العذابِ عَنهُم، ولكِن أَخرَجوهُ في صورة طَلَبِ تَضعيفِ العذابِ على القادَةِ، فيكُون قَولُه: ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ كِنايةً عَن طلَبِ تخفيفِ العذَابِ، وإنَّما عدلُوا عنِ التَّصريح - على هذا الوجهِ - إلى الكنايَةِ لِرُؤيتِهِم هوانَهُم على اللهِ تعالى وسُفُولَ قدرِهِم عنِ التَّصريحِ بطلَبِ تَخفيفِ العذابِ.

والآخَرُ: أن يكونَ على الظَّاهرِ؛ وهو طلبُ الانتقامِ مِنَ القادَةِ بطلبِ مضاعفةِ العذابِ عليهِم.

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 2/222.

عِلَّةُ فَصْلِ: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ عمَّا قَبلَهُ:

أَثَـرُ الاستِئنافِ البَيانِيِّ في إبرَازِ مُتابَعَةِ المُتَلَقِّي وشَوْقِهِ

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ عمَّا قبلُ؛ لوقوعِهِ استئنَافًا بيانيًّا، فقولُهُ سُبحانَهُ: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ ممَّا قبلُ، وذلك أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ يبعَثُ في نفسِ السَّامعِ سؤالًا، وهو: لقد قالُوا مَا لَهُ وَجهٌ، فبِمَ أُجيبُوا؟ فجاء الجوابُ في قَولِهِ تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾[1].

وما ذكَرَهُ بعضُ أهلِ العِلمِ مِن أنَّ الفصلَ جارٍ على طريقةِ حكايَةِ الأقوَالِ في المحاوراتِ[2]؛ يَؤولُ إلى ما سبَقَ، وذلك أنَّ حكايةَ القولِ في المحاورَةِ باعثَةٌ في نفسِ السَّامعِ الاستعلَامَ عن جوابِ القولِ المحكِيِّ، فرجَعَ الأمرُ في الفَصلِ إلى شبهِ كمالِ الاتِّصالِ المُسمَّى: الاستئنافَ البيانيَّ.

بَلاغةُ الإيجازِ بالحَذْفِ:

يُغنِي عَنِ التَّصريحِ باللَّفظِ دَلَالَةُ السِّياقِ على المَحذوفِ

التَّنوينُ في ﴿لِكُلٍّ﴾ مِن قول اللهِ ﷻ: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ عِوَضٌ عن مُضافٍ إليه مَحذُوفٍ، والمعنَى: لِكُلِّ أُمَّةٍ أو لكلِّ طائفَةٍ ضِعفٌ[3]، ولَم يُذكَرْ مُتعلَّقُ التَّضعيفِ؛ لتقدُّمِ ذِكرِهِ قريبًا في: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾، فأغنَى ذلك عَنِ التَّصريحِ به ثانيًا، فكانَ في قَولِهِ تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ إيجازٌ بالحذفِ؛ لوجودِ الحذفِ مِن جِهَتَينِ، والتَّقديرُ على الحذفَينِ: (لكلِّ أمةٍ ضعفٌ منَ النَّارِ).

دَلَالَةُ استعمالِ: ﴿وَلَٰكِن﴾:

الأُتْبَاعُ والمَتبُوعُونَ مُتَسَاوُونَ في مُضَاعَفَةِ العَذَابِ

(لَكِنْ): حرفُ استدراكٍ، ومعناهُ: تعقيبُ الكلامِ برَفعِ ما يُتَوَهَّم ثبوتُه أو نفيُه مِنَ الكلَامِ السَّابقِ[4]، والاستدراكُ في قولِهِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/398.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/123.
(4) خالد الأزهريّ، التّصريح بمضمون التّوضيح: 1/294.

تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ جيءَ به لرفعِ ما تُوهِمُهُ التَّسويَةُ بينَ المَتبُوعِينَ والأتباعِ في مضاعفةِ العذاب: أنَّ مضاعفتَهُ على الأتباعِ لا مُوجِبَ لهَا[1].

تَوجِيهُ القِرَاءَاتِ في قَولِهِ تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

أهـلُ الـدُّنيـا لا تَرتقِي عُقولُهم لمـعـرفـةِ ما سيكونُ لأهلِ الـنَّـارِ على الحقيقةِ

قرأ شعبَةُ عن عاصمٍ بالياءِ على الغَيبَةِ ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، وقرأ الباقُونَ بالخطابِ ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، فعلى قراءة شُعبةَ رُوعِيَ لفظُ (كلّ)؛ فإنَّ الاسمَ الظَّاهِرَ بمنزلَةِ الغائبِ، ويكون المعنَى: ولَكِنْ لا يَعلَمُ كلُّ واحدٍ مِنهُم مقدارَ عذابِ الآخَرِ.

وعلى قراءةِ الباقِين جَرى الكلامُ على ما قبلَهُ مِنَ الخِطابِ، ويكون المعنَى: لكلٍّ مِنكُم ضعفٌ، ولَكِنْ لا تَعلَمُونَ أيُّها المُخاطَبُونَ ما لِكُلِّ واحدٍ مِنكُم مِنَ العذَابِ، أو: ولَكِنْ لا تعلمونَ يا أهلَ الدُّنيا مقدارَ ذلكَ[2].

نُكتَةُ حَذْفِ مَعمُولِ: ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

شأنُ الجاهلِ أنْ يُوقِعَ نفسَه في المَصَائِبِ

حُذِفَ معمول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ من قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، وفي تخريجِهِ مسلَكانِ:

أحدُهمَا: أن يُقَدَّر بحسَبِ المَقَامِ، والمَعنَى: ولَكِنْ لا تَعلَمونَ مقدارَ ما لِكُلٍّ فريقٍ مِنَ العذَابِ.

والآخَرُ: أن يُنزَّل الفعلُ المُتَعَدِّي منزلَةَ الفعلِ اللَّازمِ، والتَّقدير: ولكن لَستُم مِن أهلِ العِلمِ والمعرفَةِ.

ونكتةُ ذلك: وصفُ أولئكَ والمُخاطَبين - على القراءتين - على حدٍّ سواءٍ بالجَهلِ اللَّاصقِ بهم، وفيه مزيدُ تَرهِيبٍ، فإنَّ شأنَ الجاهلِ أن يقعَ في المصائِبِ.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/123.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/239، ومحمّد سالم محيسِن، المغنيّ في توجيه القراءات العشر المتواترة: 2/126.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنسُ والنَّاسُ:

النّاسُ أعـمُّ منَ الإنسِ

بينَ الإنسِ والنَّاس عمومٌ وخصوصٌ مُطلَقٌ في أصحِّ قَولَي أهلِ العِلمِ؛ وذلك أنَّ التَّحقيقَ في معنى النَّاسِ شمولُها الجنَّ والإنسَ، فقد صحَّ عَن عَبدِ اللّه بنِ مسعودٍ ﷺ أنَّه قال في تَفسيرِ قولِ اللّه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: 57]، «كانَ ناسٌ مِنَ الإنسِ يَعبُدُونَ ناسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسلَمَ الجِنُّ، وتَمَسَّكَ هَؤُلاءِ بدينِهِم»[1]، فسمَّى الجِنَّ ناسًا.

أمَّا الإنسُ فهُم خُصوصُ بَنِي آدمَ؛ وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم يُؤنَسُون؛ أي: يُبصَرونَ، مِنْ (آنسَ الشَّيءَ)؛ إذا أبصرَه، ويُقابِلُهم الجنُّ، فقد سُمُّوا جنًّا لاجتِنَانِهم؛ أي: استِتَارِهم عَنِ الأعيُنِ[2].

وبهذا يَتَبيَّنُ أنَّ بينَ الإنسِ والنَّاسِ عُمومًا وخُصوصًا مُطلَقًا؛ إذِ النَّاسُ أعمُّ مِنَ الإنسِ بهذا الاعتبارِ التَّقابليِّ، ومن حيثُ غلَبَةُ الاستِعمالِ فإنَّ النَّاسَ والإنسَ يُستعملانِ في بني آدم، فإذا أُطلِقَ النَّاسُ أُريدَ بهم الإنسُ لا الجنُّ، ولا يُستعملُ النَّاسُ مع الجنِّ إلَّا بالتَّقييدِ السِّياقيِّ، كما هو في حديثِ ابنِ مسعودٍ ﷺ، وعلى القولِ الآخر، أنَّ استعمالَ النَّاسِ من بابِ المُشاكَلَةِ، والمُرادُ به الفريقُ منَ الإنسِ والجنِّ.

(1) رواه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (4714).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»